

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي؟ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ
إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ
إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾

[يوسف: 54 - 55]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

مِنْ اسْتِجَارَ
بِأَلِّهِ أَجَارَهُ،
وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ
فَوْزًا وَنَصْرًا يَرُدُّ
كَيْدَ الْكَائِدِينَ،
وَيُمْكِّنُ لَهُ أَرْفَعَ
تَمَكِينٍ

بعد أن تبين للملك براءة يوسف عليه السلام، مما كان قد رُمي به من قبل امرأة العزيز، وهي البراءة التي ظهرت من خلال حوارهِ مع النسوة، ومع امرأة العزيز التي نطقت أمامه بالحق في تبرئته عليه السلام، واعترفت بأنها هي التي راودته خضوعاً لداعي نفسها الأمارة بالسوء، وكان قد عظم أمره عليه السلام في نفس الملك، حين عبّر له رؤياه، ودلّه على ما سيكون من قحط في السنين السبع، وأرشده من خلال تعبيره رؤياه كذلك إلى ما ينبغي أن يفعل لمعالجة آثار ما ستخلفه السنوات العجاف من قحط، وما سياترّب عليها من مجاعة عامّة، هنا أراد الله ليوسف عليه السلام أن يعلو شأنه في الدولة، لأمر قد قدره، فبعث في نفس الملك الرغبة بعد أن كلمه وسمعته، في أن يستخلصه لنفسه؛ أي: بأن يكون ضمن رجال ملكه، وأن يتولّى فيها منصباً يليق به، فكان ما كان، وقيل ما قيل مما حكته الآيات الكريمتان.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أَسْتَخْلِصُهُ﴾: فعل مضارع أصل مادته (خلص)، وهو أصل يدل على تنقية الشيء وتهذيبه⁽¹⁾، وخلص الشيء خلوّاً، إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم، وخلصت إليه: وصلت إليه، وتقول: هو خالستي وخلصاني، وهؤلاء خلصاني وخلصائي؛ أي: أخلائي⁽²⁾، واستخلصه

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلص).

(2) الخليل، العين: (خلص).

لنفسه: جَعَلَهُ خَالِصًا لَهَا⁽¹⁾، وَاسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِهِ: اسْتَخَصَّهَا⁽²⁾، اسْتَخْلَصَ صَدِيقًا: اختاره واختَصَّهُ بِدَخِيلَةٍ نَفْسِهِ وجَعَلَهُ مِنْ خَاصَّتِهِ، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي؟﴾⁽³⁾.

(2) ﴿مَكِينٌ﴾: اسْمٌ جَذَرُهُ (مكن)، وله أصلٌ واحدٌ⁽⁴⁾، يدورُ معناه حولَ رُسُوخِ الشَّيْءِ مُتَجَمِّعًا فِي بَاطِنٍ يَلْتَمِزُ عَلَيْهِ، كَبَيَضِ الضَّبَابِ وَالْجَرَادِ فِي بَاطِنِهِمَا، وَالتَّمَكُّنِ: رُسُوخٌ فِي بَاطِنٍ، مَكْنَهُ مِنَ الشَّيْءِ، وَمَكَّنَ لَهُ: جَعَلَ لَهُ عَلَيْهِ سُلْطَانًا وَقُدْرَةً، وَالتَّمَكُّنُ مِنَ الشَّيْءِ: إِنَالَةُ مَا يَصْحُحُ بِهِ الْفِعْلُ مِنَ الْأَلَاتِ وَالْقَوَى⁽⁵⁾، وَرَجُلٌ مَكِينٌ: ذُو مَكَانَةٍ عِنْدَ السُّلْطَانِ⁽⁶⁾، وَفُلَانٌ مَكِينٌ عِنْدَ فُلَانٍ: بَيْنَ الْمَكَانَةِ وَالْمَنْزِلَةِ⁽⁷⁾، وَلِفُلَانٍ مَكَانَةٌ عِنْدَ السُّلْطَانِ: أَيْ: مَنْزِلَةٌ، وَتَمَكَّنْتُ مِنْ كَذَا وَكَذَا تَمَكَّنًا، وَاسْتَمَكَّنْتُ مِنْهُ اسْتَمَكَّنًا⁽⁸⁾.

(3) ﴿أَمِينٌ﴾: فَعِيلٌ مِنْ أَمِنَ، وَجَذَرُهُ (أمن)، وَهُوَ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الْأَمَانَةِ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْخِيَانَةِ⁽⁹⁾، وَرَجُلٌ أَمِينٌ: أَيْ: مَأْمُونٌ⁽¹⁰⁾، وَالْأَمِينُ: الْقَوِيُّ لِأَنَّهُ يَوْتَقُ بِقُدْرَتِهِ⁽¹¹⁾، وَهُوَ ثَقَّةٌ فِي نَفْسِهِ⁽¹²⁾، "وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾⁽¹³⁾ [التحان: 51]؛ أَيْ: قَدْ أَمِنُوا فِيهِ الْغَيْرَ، وَأَنْتَ فِي أَمْنٍ؛ أَيْ: فِي أَمْنٍ، وَرَجُلٌ أَمَنَةٌ وَأَمْنَةٌ: أَيْ: يَأْمَنُ كُلُّ أَحَدٍ، وَقِيلَ يَأْمَنُهُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ غَائِلَتَهُ"⁽¹⁴⁾.

(4) ﴿خَزَائِنٍ﴾: جَمْعُ خَزَانَةٍ، وَجَذَرُ الْكَلِمَةِ (خزن)، وَهُوَ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى صِيَانَةِ الشَّيْءِ، يُقَالُ: خَزَنْتُ الدَّرْهَمَ وَغَيْرَهُ خَزْنًا⁽¹⁴⁾، وَخَزَنَ الشَّيْءَ فُلَانٌ: يَخْزُنُهُ خَزْنًا إِذَا أَحْرَزَهُ فِي

(1) الحميرِّي، شمس العلوم: (استخلص).

(2) الزَّازِي، مختار الصَّحاح: (خلص).

(3) مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (خلص).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مكن).

(5) جبل، للعجم الاشتقاقِيّ لِلْوَصْلِ: (مكن).

(6) ابن دُرَيْد، جمهرة اللغة: (مكن).

(7) الأزهري، تهذيب اللغة: (مكن).

(8) ابن دريد، جمهرة اللغة: (كمِن).

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمن).

(10) الحميرِّي، شمس العلوم: (أمن).

(11) ابن منظور، لسان العرب: (أمن).

(12) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 228.

(13) ابن سيده، الْحَكَم: (نَأَم، مَقْلُوبُهُ).

(14) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خزن).

خِزَانَةٍ⁽¹⁾، ومنه: خزنْتُ المالَ: إذا جعلتهُ في خِزَانَةٍ⁽²⁾، وَرُويَ عن لقمانَ الحكيمَ أَنَّهُ قال لابنه: (إذا كان خازنُكَ حفيظًا، وخزانُكَ أَمِينَةً، سُدَّتْ في دنيَاكَ وآخِرَتِكَ)، يعني: اللسانَ والقلبَ. والخِزَانَةُ: اسمُ المكان الذي يُخزَنُ فيه الشَّيْءُ، والخِزَانَةُ: عملُ الخازن. قال ابنُ الأنباريِّ في قول الله ﷻ: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ [هود: 31]، قال: معناها: غيوبُ عِلْمِ الله التي لا يعلمُها إلا الله⁽³⁾.

(5) ﴿حَفِيزٌ﴾: الحَفِيزُ يُقالُ تارةً لهيئةِ النَّفْسِ التي بها يَثْبُتُ ما يُؤدِّي إليه الفَهْمُ، وتارةً لضَبْطِ الشَّيْءِ في النَّفْسِ، ويضادُّه النَّسيانُ، وتارةً لاستعمالِ تلكِ القوَّةِ، فيقال: حَفِيزْتُ كذا حِفْظًا، ثُمَّ يُستعملُ في كلِّ تَقْصِدٍ وتعهُّدٍ ورعايةٍ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَفِيزُونَ﴾ [يوسف: 12]⁽⁴⁾، وهو حفيظٌ عليه: رَقِيبٌ⁽⁵⁾.

✽ الْمَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

قال ملكُ مِصرَ لأَعوانِهِ لما تَبَيَّنَ براءةُ يوسُفَ وعِلْمُهُ وعِظَمُ أمانتِهِ: جيئوني به أَجْعَلُهُ خالِصًا لِنَفْسِي، لا يُشارِكُنِي فيه أَحَدٌ، ومن خُلصائِي وخاصَّتِي، فجاؤوه به، فلما كَلَّمَهُ، وتَبَيَّنَ له عِلْمُهُ وعَقْلُهُ قال له: إِنَّكَ يا يوسُفُ قد صِرْتَ اليَوْمَ عندنا صاحِبَ مِكانَةٍ وجاهٍ وموْتَمِنًا⁽⁶⁾. وهنا يَظهرُ عَدَمُ كِراهِيةِ طَلَبِ الوِلايَةِ إِنْ كانَ عالِمًا بها قادِرًا عليها: قال يوسُفُ لِمَلِكِ مِصرَ: وَلِني على حِفْظِ خِزائِنِ المِمالِ والأَقْواتِ، في أَرْضِ مِصرَ، فَإِنِّي خازِنٌ أَمِينٌ، ذو عِلْمٍ وبَصِيرَةٍ بما أَتَوَلَّاهُ، كاتِبٌ حاسِبٌ، فَوَلَّاهُ المَلِكُ الوِلايَةَ التي طَلَبَها، وكانَ لِفِرْعَوْنَ

(1) الخليل، العين: (خزن).

(2) الجوهري، الصَّحاح: (خزن).

(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (خزن).

(4) الرَّاغب، المفردات: (حفظ).

(5) الرَّمْخُسَرِيُّ، أساس البلاغة: (حفظ).

(6) ابن جرير، جامع البيان: 16/147، وابن الجوزي، زاد المسير: 2/449، وجماعة من العلماء، المختصر

في تفسير القرآن الكريم، ص: 242.

العلم والعقل
يُرفَعانِ
صاحبَهما، ولا
غُضاضةَ في
طلبِ التَّمَكِينِ
مِنَ الحَفِيزِ
العليمِ

خزائن كثيرة، فأسلمَ سلطانه كله إلى يوسف، وجعلَ القضاءَ إليه؛ أمره وقضاؤه في البلادِ نافذاً⁽¹⁾. وفي قوله تعالى: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، دليلٌ على جوازِ طلبِ التَّوَلَّى وإظهارِ أنه مُسْتَعِدٌّ لها، والتَّوَلَّى مِنْ يَدِ الْكَافِرِ، إذا عَلِمَ أنه لا سبيلَ إلى إقامةِ الحقِّ، وسياسةِ الخلقِ إلَّا بالاستظهارِ به⁽²⁾.

❖ الإيضاحُ اللُّغَوِيُّ والبَلَدِيُّ:

معنى الواو في السياق:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ؟﴾ هي واوُ الاستئناف⁽³⁾، ويمكنُ أن تكون عاطفةً من باب عطْفِ القصة على القصة. والجملة حكاية لما طلبه الملكُ بعد أن سمع عن يوسف ﷺ، وخصوصاً بعد أن بلغه تعبيره لرؤياه. وفي الكلام حذفُ يفهمُ من المقام، والتقديرُ: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾، بعد أن سمعَ من ساقيه ما قاله يوسف، في تفسيرِ الرؤيا ﴿أَتُتُونِي بِهِ؟﴾؛ أي: أحضروه لي لأراه وأسمعَ منه، وأستفيدَ من علمه⁽⁴⁾.

معنى (أل) في: ﴿الْمَلِكُ﴾:

(أل) في ﴿الْمَلِكُ﴾ للعهد. والمعهودُ هو الملكُ الذي كان في زمان يوسف ﷺ، وقد عناه القرآنُ في حوارِه معه، ومن قبلُ كان حوارُه أيضاً مع النَّسوةِ وامرأةِ العزيز، وهو الذي رأى الرؤيا التي عبَّرها له يوسف ﷺ.

دلالة الأمر في فعل الأمر ﴿أَتُتُونِي﴾:

دلَّ الأمرُ في قوله تعالى: ﴿أَتُتُونِي بِهِ؟﴾ - وهو من كلام الملك -

(1) ابن جرير، جامع البيان: 16/148، والبغوي، معالم التنزيل: 4/251، وجماعة من العلماء، المختصر

في تفسير القرآن الكريم، ص: 242.

(2) البياضي، أنوار التنزيل: 3/163.

(3) الخطيب وآخرون، التفصيل: 7/10، وصافي، الجدول: 13/11.

(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/373.

الواو
للاستئناف،
والجملة بعدها
مستأنفة

الإشارة إلى
فترة ملوك
الهكسوس، في
زمانهم المشهود

أوامر الملوك
بإخضار من
ينفع قُرب
وسُرف وتمكين

على الوجوب، حيث تعجّل الملك الإتيان به ﷺ، فخطب عمّاله بما يدلُّ على سرعة استدعائه.

معنى الباء في الجار والمجرور ﴿يَهْ﴾، وعود الضمير فيه:

الباء للمصاحبة؛ أي: معكم وبصحبكم. ويُلاحظ في ﴿يَهْ﴾، حيث يعود الضمير في ﴿يَهْ﴾، إلى يوسف ﷺ لكونه المعهود في هذا الحوار، وهذا سرُّ إضماره.

نكتة زيادة السين والتاء في ﴿أَسْتَخْلِصُهُ﴾:

نكتة زيادة (السين والتاء) في ﴿أَسْتَخْلِصُهُ﴾ هي المبالغة، كما في: استجاب واستأجر. والمعنى: أجعله خالصاً لنفسي؛ أي: خاصاً بي لا يشاركني فيه أحد⁽¹⁾.

دلالة التعبير بالفعل ﴿أَسْتَخْلِصُهُ﴾:

يقال: استخلصه واستخصه، إذا جعله خالصاً لنفسه وخاصاً به⁽²⁾، وفي التعبير به مضارعاً، دلالة على حرص الملك على التمسك به وملازمته حالاً واستقبالاً، ويظهر من أحداث القصة، أن المشاهد قد بلغت قمة التعقيد، وأنها قد وصلت إلى النتائج المتوخاة منها، حيث وطأت رؤيا الملك المهاد، وهيأت الأسباب لمدّ الجسور بين الملك ويوسف ﷺ، فأصبح في مرتبة سامية رضية، مكنته من تسنّم مقاليد الأمور، ليصبح عزيزاً بعد أن دخل مصر عبداً ذليلاً، وقد رتب السياق ذلك بدقّة وفصاحة، ليؤكد قيوميّته تعالى في تحقيق ما يريد، لمن يريد، وكما يشاء ويريد.

معنى اللام في: ﴿لِنَفْسِي﴾:

اللام في قوله تعالى: ﴿لِنَفْسِي﴾، هي لام السبب، والتي يسمّيها الثعلبي والواحيدي وابن عاشور وغيرهم (لام الأجل)؛ أي:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/7.

(2) الرّمخسري، الكشف: 2/481.

استعمال
الضمير في
موضعه، مُغْنٍ
عن الاسم
الظاهر

المبالغة زيادة
في التوكيد،
وإيضاح في
البيان

الاستخلاص
اضطفاء وقزب
ينال به صاحبه
مكانة وحظوة
عند الملك

من وثق بالله
الصلوات، رفعه
إلى أعلى
الدرجات

﴿أَسْتَخْلِصُهُ﴾ لأجل نفسي، والمعنى: "أستخلصه لنفسي: أي: أجعله خالصاً لي؛ أصطفيه، وأستأثر به.

وهكذا يخرج يوسف من السجن إلى حيث يجلس مجلس الإمارة والسُلطان، فيكون من خاصّة الملك، المقرّبين إليه، المشاركين له في الحكم والسُلطان⁽¹⁾.

بلاغة الكناية في: ﴿أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾:

قوله تعالى: ﴿أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾، كناية عن شدّة اتّصاله به والعمل معه⁽²⁾. "والاستخلاص: خلوص الشيء من شوائب الشّركة، وقال ذلك لما كان يوسف نفيّاً، وعادة الملوك أن يجعلوا الأشياء النّفيسة خالصة لهم دون غيرهم"⁽³⁾.

دلالة العطف بالفاء في: ﴿فَلَمَّا﴾:

سرُّ إثارة العطف بالفاء: الدّلالة على إسراره في ذلك⁽⁴⁾ الحكم، وهذا القرار الذي اتّخذه في حقّه ﷺ المعبّر عنه بقوله: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

دلالة الحذف في: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾:

في الكلام حذف دلّ عليه السياق في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ؟﴾، وقوله: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾، هو كلامٌ مترتّب عليه؛ أي: (فأتوا به)، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ أو: (فأتوه به، فحضر لديه وكلمه) ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾⁽⁵⁾ فتكون قد حذفت جملة (فأتوا به) للعلم بها تحقيقاً للإيجاز، وللاّيدان بسرعة الإتيان به، فكأنّه لم يكن بين الأمر بإحضاره، والخطاب معه، زمانٌ أصلاً⁽⁶⁾.

الجملة (كناية)
عن شدّة تعلّق
الملك بيوسف



المبادرة إلى
انتقاء الكفاءات
الفعّالة، ضرورة
لا بدّ منها

الحذف في
الجملة
اختصاراً،
ولدلالة السياق
على المحذوف

(1) الخطيب، التفسير القرآني: 7/4.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/7.

(3) درويش، إعراب القرآن: 5/25.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 10/130.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/7.

(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/286، والآلوسي، روح المعاني: 7/6.

معنى (لما) ودلالة التعبير بها:

إفادة (لما)
للظرف والشرط

عبر بـ ﴿فَلَمَّا﴾ لدلالاتها على الظرفية والشرطية، فقله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾؛ أي: حين كلمه فهي للزمان وللشرط، فهي معدودة ضمن أدوات الشرط غير الجازمة، "وفي هذا دلالة على ما قاله الملك، إذ إنه لما علم أمانة يوسف، اختاره ليستخلصه لنفسه، في خاص خدمته. ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، لأنه استدل بكلامه على عقله، وبِعصمته على أمانته، فقال: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، وهذه منزلة العاقل العفيف"⁽¹⁾.

عُودُ الضَّمِيرَيْنِ فِي ﴿كَلَّمَهُ﴾:

تحقيق القول
في عود ضميري
الفاعل والمفعول
في الجملة

يجوز أن يكون الفاعل ضمير الملك، والمفعول ضمير يوسف ﷺ وهو الظاهر، ويجوز العكس⁽²⁾ والراجح أن ضمير الفاعل للملك، وضمير المفعول ليوسف ﷺ، وهو الأليق، "لأن مجالس الملوك، لا يحسن لأحد أن يبدأ فيها بالكلام، وإنما الذي يتدبّر به هو الملك"⁽³⁾.

دلالة ذكر جملة ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾:

الآية تؤسس
لإجراء المقابلات
الشخصية
لاختيار
الكفاءات

فائدة هذه الجملة ودلالاتها، هو الإخبار بأن يوسف ﷺ، قد امتلك كل مقومات الذكاء والفطنة والخبرة، حتى ظهر ذلك في كلامه ونطق به لسانه، فما كان من أمر الملك إلا أن يرتّب على ذلك رغبة في استخلاصه لنفسه؛ ليكون واحدًا مهمًّا ممّن يعتمد عليهم في دعم حكمه. ولعله كان يريده وزيرًا ومستشارًا، من فرط ما رآه فيه "من حكمة وأدب"⁽⁴⁾، وكأن الآية بذلك تؤسس لإجراء المقابلات الشخصية لاختيار الكفاءات، أهل الأمانة والفطنة والخبرة والذكاء، في تولّي عالي المناصب التي تناسبهم.

(1) الماوردي، التكت والعيون: 3/49.

(2) السمين الحلبي، الدر المنثور: 6/515.

(3) شيخ زاده، حاشية زاده على تفسير البيضاوي: 5/48.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/7.

نُكْتَةُ الْفَضْلِ: ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ﴾:

وذلك أن يكونَ القولُ، قد نشأ جوابًا عن سؤالٍ تقديرُهُ: فماذا قال له بعد أن كلمه؟

فكان الجوابُ: ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ﴾، وعلى هذا فبين هذه الجملة المفصولة والتي فصلت عنها ما يُعرف بـ (شبه كمال الاتصال)، أو (الاستئناف البياني).

مَوْقِعُ جُمْلَةٍ ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ﴾، مِنَ الشَّرْطِ السَّابِقِ:

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾، هو جوابُ ﴿فَلَمَّا﴾⁽¹⁾، وقد مرَّ الكلامُ عن إفادة (لَمَّا) للشرط والظرف. "قال بعضهم: إنَّ مَنْ أَمَعَنَ النَّظَرَ فِي قِصَّةِ يَوْسُفَ ﷺ، عِلْمٌ يَقِينٌ أَنَّ النَّقِيَّ الْأَمِينَ لَا يُضَيِّعُ اللَّهُ سَعْيَهُ؛ بَلْ يُحَسِّنُ عَاقِبَتَهُ، وَيُعْلِي مَنْزِلَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنَّ الْمُعْتَصِمَ بِالصَّبْرِ لَا يَخْشَى حَدَثَانَ الدَّهْرِ وَتَجَارِبَهُ، وَلَا يَخَافُ صُرُوفَهُ وَنَوَائِبَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُعْضِدُّهُ، وَيَنْجِيهِ مَسْعَاهُ، وَيُخَلِّدُ ذِكْرَهُ الْعَاطِرَ عَلَى مَمَرِّ الْأَدْهَارِ"⁽²⁾.

نُكْتَةُ التَّوَكُّيدِ فِي: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾:

أفادَ التَّوَكُّيدُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ فِي الْجُمْلَةِ تَصْدِيرُهَا بِـ (إِنَّ) التَّوَكُّيدِيَّةَ، ثُمَّ بَكُونِ الْجُمْلَةِ اسْمِيَّةً، عَلَى الْإِعْتِنَاءِ بِشَأْنِهِ ﷺ⁽³⁾ مِنْ قِبَلِ الْمَلِكِ، وَهُوَ الْقَوْلُ الَّذِي تَرْتَبُ عَلَى كَلَامِهِ مَعَهُ، فِي الْمَقَابِلَةِ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي أَجْرَاهَا لَهُ، وَمِنْ قِبَلِ الْمَلِكِ نَفْسِهِ، وَلَيْسَ بِتَكْلِيفِ أَحَدٍ وَجْهَاءِ الدَّوْلَةِ.

مَعْنَى (أَل) فِي: ﴿الْيَوْمَ﴾ وَنُكْتَةُ تَقْدِيمِهِ:

فِي تَقْدِيمِ ﴿الْيَوْمَ﴾ دَلَالَةٌ عَلَى قَصْدِ الزَّمَنِ، وَأَنَّهُ الْآنَ فِي هَذَا

الْفَضْلُ
لِلْإِسْتِنْفَافِ
الْبَيَانِيِّ (شَبْهِ
كَمَالِ الْإِتِّصَالِ)

لَا حُكْمَ قَبْلَ
اِخْتِبَارٍ، وَعِنْدَ
الْخَبَرِ تَنْقَطِعُ
الظُّنُونُ

الْجِرْضُ عَلَى
تَغْيِينِ الْأَصْلَحِ
مَنْهَجٍ تَنْتَظِمُ بِهِ
مَقَاصِدُ الْعَدْلِ
وَالْإِصْلَاحِ

الْمُرَادُ بِلَفْظِ
(الْيَوْمِ)، يَوْمٌ
التَّكَلُّمِ نَفْسُهُ،
الَّذِي جَرَى فِيهِ
الْحَوَازُ بَيْنَ الْمَلِكِ
وَيُوسُفَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/7.

(2) القاسمي، محاسن التأويل: 6/190.

(3) الألوسي، روح المعاني: 7/6.

اليوم، وفي تلك اللحظة هو لديه ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، لِيَحْتَرَزَ به عن معنى التَّسْوِيفِ والتَّأخِيرِ، وأنَّه لم يُصَبِّحْ عنده كذلك إلَّا بعد حين، ووقتٍ طویلٍ.

نُكْتَةُ ذِكْرِ ﴿الْيَوْمِ﴾ وَآثَرُهَا فِي السِّيَاقِ:

في ذِكْرِ ﴿الْيَوْمِ﴾ وسرُّ التَّعبيرِ به دلالةٌ على أنَّه ﷺ قد حاز المكانةَ اللَّائِقَةَ به عند الملك وأنَّه قد صار لديه (مَكِينًا أَمِينًا)، في يوم لقائهما نفسِه، بل في لحظته نفسِها، ولا يُفْهَمُ أنَّ المرادَ بِذِكْرِ اليوم، كونه معيارًا للمكانة والأمانة، بل هو مجردُ آنِ التَّكَلُّمِ، أريدَ بِذِكْرِهِ تحديدُ مبدئيهما احترازًا عن كونيهما قد صارا له بعد حين⁽¹⁾ من العمل والاختبار، كما يُقال الآن لمن يتولَّى شيئًا: أمامك مدَّةٌ كذا؛ هي مدَّةٌ اختبارك، وبعدها نظُرْ في أمرِ تَثْبِيَّتِكَ في وظيفتِكَ، أو أنْ ترحلَ.

فائدةٌ ذُكِرَ: ﴿لَدَيْنَا﴾:

في اختيار ﴿لَدَيْنَا﴾ وإيثاره على (عندنا)، ما لا يخفى من الاعتناء بشأنه ﷺ⁽²⁾، وذلك أنَّ لفظَ (لدى) يدلُّ على أنَّ ما تُضيفُه إليه حاضرٌ وقتَ الكلام، بخلاف (عندي)، فقد تدلُّ كذلك على ما هو غائبٌ⁽³⁾، ومن ثَمَّ كان التَّعبيرُ بـ ﴿لَدَيْنَا﴾ أشدَّ تمكُّنًا ودلالةً من التَّعبيرِ بـ (عندنا).

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ ﴿لَدَيْنَا﴾:

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ الظَّرْفِ ﴿لَدَيْنَا﴾ على خبر (إنَّ) - وهو قوله: ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ - هو إفادة الاختصاص. وهو تأكيدٌ لمعنى الاستخلاص في قوله تعالى: ﴿أَنَّا نُنْصِرُ بِيَهِ أَتَّخِذُ لِنَفْسِي﴾، فدلَّ ذلك على أنَّه رأى من كلامه وحسن منطقِه، ما صدَّق به الخبرَ أو أربى عليه، إذِ المرءُ

تَثْبِيَتْ مَكَانَةً
يُوسُفَ ﷺ
لدى الملك منذ
لِقائهما أوَّلَ يومٍ

الدَّلالةُ على
الاعتناءِ الحاضرِ
في الوقتِ

التَّقديمُ
لِلإختصاصِ من
فَصِيحِ البَيَانِ

(1) الألوَسِيُّ، روح المعاني: 7/6.

(2) الألوَسِيُّ، روح المعاني: 7/6.

(3) العسكري، الفروق اللغويَّة، ص: 298.

مخبوءٌ تحت لسانه، ثم لما زاول الأعمال، لم يزل يصعدُ في المراتب حتّى ولاه حُطّة العزيز⁽¹⁾، فصار له أكبر رُتبةٍ بعد الملك في مصر، وذلك من توفيق الله الذي أسبغ على يوسف من نعمه الظاهرة والباطنة، ما تدلُّ عليه السياقات الآنفة واللاحقة، وذلك فضلُ الله يُؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ثُكْنَةُ تَكْبِيرِ ﴿مَكِينٌ﴾ و﴿أَمِينٌ﴾:

في تكبيرِ هاتين الصفتين الواقعتين خبراً، لـ (إِنَّ) دلالةً على عِظَمِهما في يوسف ﷺ، وخصوصاً لدى الواصف - وهو الملك - وفي عينه، "قال ابن عباس: ويريدُ بقوله: مَكِينٌ أَمِينٌ؛ أي: قد مَكَّنْتُكَ في مُلكي، واتَّمتُّكَ فيه، وقال مُقاتِلٌ: المَكِين: الوجيه، والأَمِينُ: الحافظ"⁽²⁾.

عِلَّةُ تَقْدِيمِ ﴿مَكِينٌ﴾، عَلَى ﴿أَمِينٌ﴾ فِي السِّيَاقِ:

قَدَّمَ ﴿مَكِينٌ﴾ عَلَى ﴿أَمِينٌ﴾: لأنَّ المقصودَ، هو أن يكونَ أَمِيناً على ما تَمَكَّنَ منه، وقام عليه من مصالحِ الدَّولةِ وأُمُورِها، وهاتان هما الصِّفتان اللَّتان يَتَشَدَّهما كُلُّ قَائِدٍ لِأَيِّ دَوْلَةٍ، أن يكونَ عَمَلُهُ من أهلِ الخبرةِ والعلمِ، بما مُكِّنُوا عليه، ومن أهلِ الأمانةِ على ما وُكِّلَ إليهم وقاموا عليه وصار تحت مَسْئُولِيَّتِهِمْ من أمورِ الدَّولةِ ومُصالحِ الرِّعيَّةِ.

دَلَالَةُ الْأَنْبِيَةِ الصَّرْفِيَّةِ، فِي ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾:

قوله تعالى: ﴿مَكِينٌ﴾ صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ مِنْ مَكَّنَ - بضم الكاف - إذا صار ذا مكانةٍ، وهي المرتبةُ العظيمةُ، وهي مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْمَكَانِ. وقوله: ﴿أَمِينٌ﴾ فعيل بمعنى مفعول؛ أي: مأمونٌ على شيءٍ؛ أي: موثوقٌ به في حِفْظِهِ⁽³⁾.

الجمْعُ بين
القوَّةِ في التَّسْيِيرِ
وَالأَمَانَةِ فِي
التَّقْدِيرِ تَكْمِلُ
بِهِ الشَّخْصِيَّةَ
الْمَتَمَاسِكَةَ

النَّظَرُ إِلَى
الكِفَاةِ أَسْبَقُ
مَنْ النَّظَرِ إِلَى
أَمَانَةِ الْكُفَيْهِ،
وَلَا غِنَى
بِإِحْدَاهُمَا عَنِ
الْأُخْرَى

الْمَكْنَةُ وَالْأَمَانَةُ
صِفَتَانِ تُوَهَّدَانِ
صَاحِبَهُمَا
لِلرَّعَامَةِ

(1) ابن عطية، الحُرَّر الوجيز: 3/255.

(2) ابن الجوزي، زاد السير: 2/449.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/7.

نُكْتَةُ الْفَضْلِ: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي﴾:

وكما هو معهود في المقاولات والمحاورات، أن كل قول منها يكون محمولاً على كونه جواباً لسؤال مُقَدَّر، فكأنه قيل: وماذا قال يوسف بعد أن قال له الملك: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾؟

فائدة إضمار ذِكْر يوسف ﷺ:

أُضْمِرَ ذِكْرُ يَوْسُفَ ﷺ، فلم يَقُلِ المولى ﷺ: (قال يوسف)، للعلم بأنه المقصود، فالحوار قائم بين طرفين فقط، هما: الملك ويوسف ﷺ، فأحدهما يقول، والآخر يُجيبه بقول أيضاً.

دلالة التعبير في: ﴿أَجْعَلْنِي﴾:

أما من حيث المادّة؛ فهي من (جَعَلَ)، وهو لفظٌ عامٌّ في الأفعال كلّها⁽¹⁾، وأما الصيغة فهي صيغة طلب؛ أي: إِنَّهُ ﷺ، طلب من الملك أن يُؤَيِّله مسؤوليّة القيام على الخزان وهذا ما أثار سؤالاً: كيف يطلب ﷺ الإمارة والولاية وهو أمرٌ منهّي عنه ولا يليق بالأخيار؟ والجواب: إنّ محلّ النهي ما لم يتعيّن عليهم، فإنّ تعيّن عليهم وجب طلبها، ثم إنّ الأنبياء إنّما بُعثوا لإقامة الحق والعدل، ووضع الأشياء مواضعها، وعلم يوسف ﷺ أنّه لا أحد أقوم بذلك ولا أَوْضَعُ له في مواضعه منه، فسأل ذلك إرادةً للصّلاح، إضافةً إلى كون هذا الطلب كان بوحى من الله⁽²⁾، وأيضاً: فإنّ طلبه ﷺ كان بعد أن قال له الملك: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، فما كان منه ﷺ، إلّا أن يختار ما هو مُهيّأً له مُتمكّنٌ منه؛ ليقوم بالمسؤوليّة عليه، وهو به خبيرٌ، ولتسهل عليه بعد ذلك أمانة القيام عليه بخير ما يكون.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بحرف الاستعلاء ﴿عَلَى﴾:

تدلُّ ﴿عَلَى﴾ كما هو معروفٌ، على معنى الاستعلاء، وهو هنا

أَنْزَرُ الْجُمْلَةَ
الْفُصُولَةَ
بِالِاسْتِنْفَافِ
الْبَيَانِيَّ (شِبْهَ
كَمَالِ الْإِتِّصَالِ)

إِضْمَارُ الْمَعْلُومِ
اِخْتِصَارٌ لِلْكَلَامِ
وَاسْتِعْمَالٌ
لِلْمَفِيدِ دُونَ
إِطْنَابٍ

لَا مَانِعَ شَرْعًا
مِنْ طَلَبِ الْوِلَايَةِ
عَلَى مَا يُخَيِّسُهُ
الْمَرَّةَ، وَخُصُوصًا
إِذَا كَانَتْ مُتَعَيِّنَةً

التَّصَرُّفُ
فِي الْخَزَائِنِ
مَسْئُولِيَّةٌ
عُظْمَى لَا يَطْلُبُهَا
إِلَّا عِبْقَرِيٌّ
أَخَوْدَتِي

(1) الزَّائِبُ، المفردات: (جعل).

(2) الواحدي، البسيط: 12/155، والضاوي، حاشية الضاوي على الجلالين: 2/231.

استعلاءً مجازيًّا، مُعَبَّرٌ به عنِ التَّصَرُّفِ والتَّمَكُّنِ؛ أي: اجعلني مُتَصَرِّفًا في خزائن الأرض⁽¹⁾.

غَرَضُ التَّعْبِيرِ بِالْخَزَائِنِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ:

خَزَائِنُ: جمعُ خِزانَةٍ (بكسر الخاء)؛ أي: البيتُ أو المكانُ المُعدُّ لتخزين الحبوبِ والأموالِ، وفائدةُ التَّعبيرِ بالجمع: الدَّلالةُ على أنَّها كانت خزائنٌ كثيرة. والخزائنُ: هي خَزَائِنُ الطَّعامِ والأموالِ. وقال ربيعُ بن أنس: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾؛ أي: على خَرَّاجِ مِصْرَ ودَخِلِهَا⁽²⁾.

دَلَالَةُ (أَل) عَلَى الْعَهْدِ فِي: ﴿الْأَرْضِ﴾:

(أَل) في ﴿الْأَرْضِ﴾ للعهد، والمُرَادُ بها أرضُ مِصْرَ، الَّتِي هي لكثرة خيرها كأنَّها الأرضُ كُلُّهَا⁽³⁾.

وقد أطلق الله عليها ﴿الْأَرْضِ﴾ كذلك، في قوله تعالى: ﴿وَنُصَبِّحُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم مَّا كَانَ نَوَافِلًا يُحَذِّرُونَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ يَخْلَوْا فِيهَا مِنْ يَحْذَرُ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَهُ الْآخِرُ الْأُولَى وَالْآخِرُ الْأُولَى﴾ [القصص: 6]، وقيل: جُعِلَتِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي ﴿الْأَرْضِ﴾ بدلًا من تعريف الإضافة؛ أي: بدلًا من أن يقول: (اجعلني على خزائن أرضك).

غَرَضُ الْإِضَافَةِ فِي: ﴿خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾:

من الأغراضِ الَّتِي حَقَّقَتْهَا الإضافةُ في قوله تعالى: ﴿خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾: توسيعُ المعنى؛ فكلَّمةُ الأرضُ كلمةٌ واسعةٌ في مدلولها، حتَّى لو كانت منصرفةً إلى (مِصْرَ) وحدَها، وفي هذا دلالةٌ على كثرة الخزائن، وعلى اتِّساعِ المسؤوليَّةِ.

نُكْتَةُ الْفَصْلِ: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾:

وجُمْلَةُ: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ جُمْلَةٌ تعليليَّةٌ، علَّلتِ الطَّلَبَ السَّابِقَ: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾؛ أي: لأنِّي ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾. ويمكنُ

خَزَائِنُ الدَّوْلَةِ
تُفْتَضَى ضَخَامَةً
وَفَخَامَةً يُعَبَّرُ
عنها بصيغةٍ
مُنْتَهَى الْجُمُوعِ

عَظَمَ خَيْرُ مِصْرَ
وَتَنَامَى حَتَّى
أُطْلِقَ عَلَيْهَا لَفْظُ
الْأَرْضِ تَفْخِيمًا

تَوْسِيعُ الْمَعْنَى
يُقْتَضَى الْإِضَافَةُ،
وَيَسْتَوْعِبُ
الْمَعْنَى الرَّادَّ

الْجُمْلَةُ
الْمُفْصُولَةُ جُمْلَةً
تَعْلِيلِيَّةً، وَهِيَ
مُؤَدِّيَةٌ لِلْغَرَضِ
بِبَيَانٍ فَصِيحٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/8.

(2) السَّمعاني، تفسير القرآن: 3/40.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 10/131.

أن يكون سبب الفصل الاستئناف البياني جواباً عن سؤالٍ مُقدّر. وكونها تعليلية هو سبب فصلها عما وقعت علة له.

نكتة توالي المؤكّدات في الفاصلة:

ذكر البيان القرآني في قوله: ﴿إِنِّي حَفِيطٌ عَلِيمٌ﴾ عدداً من المؤكّدات؛ هي: البدء بـ (إِنَّ)، واسميّة الجملة، والاسميّة فيها معنى الثبوت، والنص على وصفين ما أكمل من اتّصف بهما، وهما: ﴿حَفِيطٌ عَلِيمٌ﴾. وفي كثرة المؤكّدات دليل على أهميّة المؤكّد، كما أنّ فيها طمأننة للملك بتنزيله منزلة الشّاك، رغم أنّه لم يكن كذلك، كي يُشعره بأنّ اختياره له كان في محله.

نكتة اختيار هذين الوصفين: ﴿حَفِيطٌ عَلِيمٌ﴾:

اختار القرآن الكريم هذين الوصفين دون غيرهما؛ لأهميّتهما أكثر من غيرهما في الباب الذي ذكرا فيه، وهو باب المسؤوليّة والولاية، فقد وصف نفسه "بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبّة الملوك ممّن يؤلّونه؛ وإنّما قال ذلك ليتوصّل إلى إمضاء أحكام الله تعالى وإقامة الحقّ وبسط العدل، والتّمكّن ممّا لأجله تُبعث الأنبياء إلى العباد"⁽¹⁾، قال الشعراوي: "والمشكلة في مجتمعاتنا المعاصرة، إنّما تحدث عندما يُرجّح الحاكم من يراهم أهل الثقة على أهل الخبرة والأمانة، فتختل موازين العدل. وعلى الحاكم الذّكي أن يختار اللذين يتمتعون بالأمرين معاً: أمانة عند المحكوم، وثقة عند الحاكم، وبهذا تعتدل الحياة على منهج الله"⁽²⁾.

دلالة البناء الصّرفيّ للصفّتين: ﴿حَفِيطٌ عَلِيمٌ﴾:

قوله تعالى: ﴿حَفِيطٌ عَلِيمٌ﴾، كلاهما مبالغة من: (حافظ) و(عالم)، وهدف المبالغة، بيان أنّه بالغ الغاية في هاتين

كثرة ورود
للمؤكّدات على
محل واحد
دليل على أهميّة
المؤكّد

صفتا الحفظ
والعلم هما
سر الاختيار في
باب المسؤوليّة
والولاية

صيغتا المبالغة
لأنّ من التّنبّه،
عن أهميّة
اتّصاف الموصوف
بهما

(1) الزّمخشريّ، الكشاف: 2/482.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 11/6997.

الصِّفَتَيْنِ، وَلَا عَرَوْهُ فَهُوَ رَسُولٌ يَرَىٰ بَنُورَ اللَّهِ الَّذِي يُضِيءُ لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ دُرُوبَهُ.

نُكْتَةُ تَكْبِيرِ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ: ﴿حَفِيطٌ عَلِيمٌ﴾:

فِي تَكْبِيرِ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ الْوَاقِعَتَيْنِ خَبْرًا لَّ (إِنَّ)، دَلَالَةً عَلَى عَظَمَتِهِمَا فِي يَوْسُفَ ﷺ وَتَمَكُّنِهِ مِنْهُمَا.

نُكْتَةُ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ بَيْنِ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ:

فِي تَقْدِيمِ ﴿حَفِيطٌ﴾ عَلَى ﴿عَلِيمٌ﴾ سِرٌّ بَلِغٌ، ذَلِكَ لِأَنَّ ﴿حَفِيطٌ﴾ مَعْنَاهُ: قَادِرٌ عَلَى ضَبْطِ مَا إِلَيْهِ، أَمِينٌ فِيهِ. وَ﴿عَلِيمٌ﴾: أَيُّ: بَالِغُ الْعِلْمِ بِوُجُوهِ صِلَاكِهِ وَاسْتِثْمَائِهِ⁽¹⁾ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَحَافِظَةَ عَلَى أَصْلِ الشَّيْءِ مُقَدَّمٌ عَلَى صِلَاكِهِ وَاسْتِثْمَائِهِ.

فَائِدَةُ التَّقَابُلِ بَيْنَ ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ وَ﴿حَفِيطٌ عَلِيمٌ﴾:

فِي ذِكْرِ صِفَتَيْ: ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ فِي كَلَامِ الْمَلِكِ وَصِفَتَيْ: ﴿حَفِيطٌ عَلِيمٌ﴾ فِي كَلَامِ يَوْسُفَ ﷺ تَنَاسُبٌ عَنْ طَرِيقِ التَّقَابُلِ، فَقَدْ قَابَلَ صِفَتَيْنِ بِصِفَتَيْنِ، فَالْمَلِكُ قَدْ وَصَفَهُ بِمَا هُوَ جَدِيرٌ بِوَصْفِهِ لِمَا رَأَاهُ مِنْهُ، فَأَرَادَ يَوْسُفَ ﷺ، أَنْ يُوَكِّدَ لِلْمَلِكِ أَنَّهُ حَقِيقٌ بِمَا وَصَفَهُ؛ لِأَنَّهُ مَتَّصِفٌ بِمَا يَفِي بِوَاجِبِهِمَا، وَذَلِكَ هُوَ: صِفَةُ الْحِفْظِ الْمَحَقَّقِ لِلتَّائِمَانِ، وَلِتَحْصِيلِ الدَّخْلِ وَالْمَالِ، وَمَعْرِفَةِ مَصَالِحِ النَّاسِ، وَصِفَةُ الْعِلْمِ الْمَحَقَّقِ لِلْمَكَانَةِ، وَمَوَاضِعِ صَرْفِ الْمَالِ وَجِهَاتِهِ⁽²⁾، بَأَنْ يَكُونَ الصَّرْفُ فِي مَوْضِعِهِ بِلَا إِفْرَاطٍ وَلَا تَقْرِيطٍ.

❁ الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

(أَسْتَخْلَصَهُ) وَ(أَتَّخَذَهُ) وَ(أَجْعَلُهُ):

﴿أَسْتَخْلَصَهُ﴾: يُقَالُ: اسْتَخْلَصَهُ وَاسْتَخْصَصَهُ، إِذَا جَعَلَهُ خَالِصًا

التَّنْكِيزُ
لِلتَّعْظِيمِ، مِنْ
فَصِيحِ الْبَيَانِ

المحافظَةُ
على أَصْلِ
الشَّيْءِ مُقَدَّمٌ
على صِلَاكِهِ
وَاسْتِثْمَائِهِ

الصِّفَتَانِ عَلَى
لِسَانِ الْمَلِكِ
كَالْمُضَادَّائِنِ
لِلْمُسَابِقَتَيْنِ مِنْ
ذِكْرِهِ ﷺ

الاسْتِخْلَاصُ
هُوَ الْإِنْتِقَاءُ مِنْ
بَيْنِ اخْتِبَارَاتٍ،
وَالتَّطْهِيرُ مِنْ
كُلِّ الشَّوَائِبِ،
وَالْمُسْتَخْلَصُ
الْمُنْتَقَى مِمَّا
سِوَاهُ

(1) الْبِقَاعِيُّ، نِظْمُ الدَّرَرِ: 10/131.

(2) الْفَخْرُ الرَّازِيُّ، مِفْتَاحُ الْغَيْبِ: 81/474، وَابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 13/9.

لنفسه وخاصاً به⁽¹⁾، والخالص كالصافي، إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه، بعد أن كان فيه، والصافي قد يُقال لما لا شوب فيه⁽²⁾.

والمعنى المحوري له: نفاذ الشيء نقيًا من أشاء ما كان يُخالطه أو يشوبه؛ كالسمن والذهب والفضة، بعد تمييزهنّ ممّا كنّ يختلطن به. قال ﷺ: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا﴾ [النحل: 66]؛ أي: نافذًا من بينهما نقيًا، ومعنى ﴿أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾: أصطفيه وأنتقيه وأتخذُه من بين من حوله⁽³⁾ وأجعلُه خالصًا لنفسي؛ أي: خاصًا بي لا يُشاركني فيه أحد⁽⁴⁾.

وأما (جعل) فهو لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها⁽⁵⁾، وتأتي (جعل) وما تصرف منها في القرآن الكريم بمعنى التحويل والتهيئة على وضع، أو للخلق، وهو تحويل للهيئة بإنشاء هيئة جديدة⁽⁶⁾.

وأما (اتخذ) فمن الأخذ، وهو حوْز الشيء وتحصيله، وذلك تارة بالتناول نحو قوله تعالى: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَلَعًا عِنْدَهُ﴾ [يوسف: 79]، وتارة بالقهر، نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: 255]⁽⁷⁾.

والمعنى المحوري له: حوْز الشيء في الأثناء، ضمًا أو قبضًا على غلظ مادي أو معنوي؛ كبدء السمن في البعير، وغلظه هنا هو حدة الشحم أو عسر البدء⁽⁸⁾.

وبعد هذا العرض الذي يظهر منه عموم معنى (جعل)، وأنه ماضٍ على كل فعل من الأفعال، دون تمييزٍ لشيءٍ فيه عن غيره، ويظهر منه كذلك ما في (اتخذ) من معنى التناول مع الحوْز، سواء أكان المتخذ متناولًا باليد، كالأشياء العينية المادية، ومنه قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: 103]، أم كان تناولًا معنويًا، بالامتثال والطاعة مثلاً،

(1) الزمخشري، الكشاف: 2/481.

(2) الزاغ، المفردات: (خلص).

(3) جبل، المعجم الاشتقاقي للؤصل: (خلص).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/7.

(5) الزاغ، المفردات: (جعل).

(6) جبل، المعجم الاشتقاقي للؤصل: (جعل).

(7) الزاغ، المفردات: (أخذ).

(8) جبل، المعجم الاشتقاقي للؤصل: (أخذ).

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: 7]، وكلا اللفظين وإن كان بينهما وبين الاستخلاص اشتراك في المعنى العام، لكن يبقى لكلمة ﴿أَسْتَخْلِصُهُ﴾ هنا، تجلياتها التي لا تظهر لغيرها، إذ إنها تعني الانتقاء من بين اختيارات، والتطهير من كل الشوائب، وكأنَّ المُستخلص هو الخلاصة النقية من كل شيء، كما كان يوسف ﷺ الأكمل والأنقى في نظر الملك، من كل من حوله، حتى استخلصه من بينهم. ولذلك جعله الله تعالى وصفاً للمنتقى، المُطهرين المُختارين من عباده، فسمَّاهم العبادَ المُخلصين في عدد من الآيات؛ أي: المُختصين به المُستخلصين له، وتأمل هذا المعنى في حق يوسف خاصة في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]، فكان ﷺ بهذا مُستخلصاً من ربه، ومستخلصاً من خلقه، فجمع بين الكمالين، فهل بعد ذلك يسوع أن يُنسب إليه ﷺ شيء من الرِّيب الذي لا كتَّه السنة بعض المُفسرين اعتماداً على سقيم الروايات، ورأس الموضوعات؟

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 22، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 7-19-978-9948-768

يشتمل على ارجاعات ببلوجرافية.

مج. 22: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 7-19-978-9948-768

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»